بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
السلاجقة، أصولهم وسلاطينهم

المبحث الأول
أصولهم ومواطنهم وبداية ظهورهم

ينحدر السلاجقة من قبيلة - قنق - التركمانية، وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـ - الغز - [1] وفي منطقة ما وراء النهر والتي اسمها اليوم " تركستان " والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً.

استوطنت عشائر الغز [2]، وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك [3] ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي في الانتقال من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة، وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرتهم، فالبعض يرى أن ذلك بسبب عوامل اقتصادية فالجدب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق ذرعاً بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثاً عن الكلأ والمراعي والعيش الرغيد [4]، والبعض الآخر يعزو تلك الهجرات لأسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى فاضطرت إلى ترك أراضيها [5] بحثاً عن نعمة الأمن والاستقرار، وذهب إلى هذا الرأي الدكتور عبد اللطيف عبد الله بن دهيش[6]، واضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غرباً، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان، وجرجان[7]، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية والتي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة 21هـ - 641م [8].

أولاً: اتصال الأتراك بالعالم الإسلامي:

في عام 22هـ - 642م تحركت الجيوش الإسلامية إلى بلاد الباب لفتحها وكانت تلك الأراضي يسكنها الأتراك، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي عبد الرحمن بن ربيعة بملك الترك شهربراز،

---

(1) أخبار الدولة السلجوقية للحسين ص 2، 3، نظام الوزارة للزهراني ص 31.
(2) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد العيد ص 106الدولة العثمانية ص 23.
(3) أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق د. محمد نور الدين ص 2 - 4.
(4) كتاب السلوك، أحمد المقريزي ح 1 قسم 1، ص 3.
(5) قيام الدولة العثمانية ص 8.
(6) الكامل في التاريخ (22/8).
(7) نهاوند، شوقي أبو خليل ص 55 - 70
(8) للتوسع في أصولهم انظر: الخلافة العباسية السقوط والانهيار، فاروق عمر فوزي، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، محمد سهيل طقوس، العصر العباسي، د. خالد عزام.

فطلب من عبد الرحمن الصلح وأظهر استعداده للمشاركة في الجيش الإسلامي لمحاربة الأرمن، فأرسله عبد الرحمن إلى القائد العام سراقة بن عمرو، وقد قام شهربراز بمقابلة سراقة فقبل منه ذلك، وكتب للخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بالأمر، فوافق على ما فعل، وعلى إثر ذلك عقد الصلح، ولم يقع بين الترك والمسلمين أي قتال، بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام فيها[1]، وتقدمت الجيوش الإسلامية لفتح البلدان في شمال شرق بلاد فارس حتى تنتشر دعوة الله فيها، بعد سقوط دولة الفرس أمام الجيوش الإسلامية والتي كانت تقف حاجزاً منيعاً أمام الجيوش الإسلامية في تلك العوائق، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحاً أمام تحركات شعوب تلك البلدان والأقاليم ومنهم الأتراك، فتم الاتصال بالشعوب الإسلامية واعتنق الأتراك الإسلام، وانضموا إلى صفوف المجاهدين لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله [2].

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رتم فتح بلاد طبرستان، ثم عبر المسلمون نهر جيحون سنة 31هـ ونزلوا بلاد ما وراء النهر، فدخل كثير من الترك في دين الإسلام، وأصبحوا من المدافعين عنه والمشتركين في الجهاد لنشر دعوة الله بين العالمين [3].

وواصلت الجيوش الإسلامية تقدمها في تلك الأقاليم فتم فتح بلاد بخارى في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وتوغلت تلك الجيوش المظفرة حتى وصلت سمرقند، وما إن ظهر عهد الدولة الراشدية الإسلامية حتى صارت بلاد ما وراء النهر جميعها تحت عدالة الحكم الإسلامي وعاشت تلك الشعوب حضارة إسلامية عريقة[4]، وازداد عدد الأتراك في بلاط الخلفاء والأمراء العباسيين، وشرعوا في تولي المناصب القيادية والإدارية في الدولة، فكان منهم الجند والقادة والكتّاب، وقد التزموا بالهدوء والطاعة حتى نالوا أعلى المراتب، ولما تولى المعتصم العباسي الخلافة فتح الأبواب أمام النفوذ التركي، وأسند إليهم مناصب الدولة القيادية وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤون الدولة، وكانت سياسة المعتصم تهدف إلى تقليص النفوذ الفارسي، الذي كان له اليد المطلقة في إدارة الدولة العباسية منُذ عهد الخليفة المأمون[5]، وقد تسبب اهتمام المعتصم بالأتراك في نقمة الناس عليه، فأسس مدينة جديدة هي (سامراء)، تبعد عن بغداد حوالي 125كم وسكنها هو وجنده وأنصاره، وهكذا بدأ الأتراك منُذ ذلك التاريخ في الظهور في أدوار هامة على مسرح التاريخ الإسلامي حتى أسسوا لهم دولة إسلامية كبيرة كانت على صلة بخلفاء الدولة العباسية عرفت بالدولة السلجوقية [6].

ثانياً: بداية ظهور السلاجقة:

ينتسب السلاجقة إلى جدهم دقاق الذي كان وأفراد قبيلته في خدمة أحد ملوك الترك الذي كان

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري (256/3، 257).
(2) الدولة العثمانية والشرق العربي، محمد أنيس ص 12، 13.
(3) فتوح البلدان للبلاذري ص 405، 409.
(4) الدولة العثمانية للصَّلاَّبي ص 25.
(5) قيام الدولة العثمانية ص 12.
(6) المصدر السابق ص 12.

يعرف باسم بيغو [1]، وكان دقاق في هذه المرحلة من تاريخ السلاجقة، مقدم الأتراك الغُز، مرجعهم إليه، لا يخالفون لـه قولاً، ولا يتعدون لـه أمراً [2]، وكان سلجوق بن دقاق في خدمة (بيغو) كما كان والده من قبل، حيث كان يشغل وظيفة عسكرية مهمة التي تعني - مقدم الجيش - وفي هذا الوقت تذكر المصادر أن مظاهر التقدم وعلامات القيادة بدت واضحة عليه [3] حتى أن زوجة الملك أخذت تثير مخاوف زوجها فيه لما رأت من حب الناس لـه وانصياعهم إليه، إلى الحد الذي أغرته بقتله [4] وما إن عرف سلجوق بذلك حتى أخذ أتباعه ومن أطاعه وتوجه إلى دار الإسلام وأقام بنواحي جند [5] قريباً من نهر سيحون، وفيها أعلن سلجوق إسلامه وأخذ يشن غاراته على الكفار الترك [6]، وبعد وفاة سلجوق في جند، خلف عدداً من الأولاد ساروا على سياسة والدهم في شن الغارات على الترك الوثنيين وبذلوا جهوداً كبيرة في حماية السكان المسلمين الآمنين من غاراتهم [7]، فازدادت قوتهم وتوسعت أراضيهم وقد أكسبهم ذلك كله احترام الحكام المسلمين المجاورين لهم [8] فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بعض بلاد الكفار من الترك فقاتل حتى استشهد في سبيل الله[9].

ثالثاً: المشرق الإسلامي قبيل ظهور السلاجقة:

1- السامانيون: 204 - 395هـ:

ينسبون إلى جدهم سامان وهو أحد الدهاقين الفرس المعروفين وهم ينحدرون من أسرة فارسية عريقة، أما موطنهم الأصلي، فكان مدينة بلخ وكان أول اتصال لسامان بهذه الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان - 105هـ - 125هـ -، عندما وفد على أسد بن عبد الله القسري والى خراسان آنذاك - حيث كانت الاضطرابات وهجمات الأتراك والدهاقين المتكررة التي شهدها إقليم خراسان بشكل عام وبلخ بشكل خاص هي التي أجبرت سامان على الفرار والالتجاء إلى أسد القسري للاحتماء به، فقد كان هذا ملجأ المضطهدين من العرب والفرس على حد سواء [10]، وقد أكرمه وقدم لـه الحماية وساعده على قهر خصومه وأعاده إلى بلخ [11]، فاعتنق سامان الإسلام على يديه وسمى ابنه أسداً تيمناً به وحبا لـه وكان أسد بن سامان هذا من جملة أصحاب علي بن عيسى بن ماهان عندما ولاه الخليفة هارون الرشيد أمر خراسان، وتوفي في ولايته [12]، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد، خرج

(1) الدولة السلجوقية منُذ قيامها، سميرة الجبوري ص68.
(2) الدولة السلجوقية ص 69، الكامل في التاريخ (22/8).
(3) أخبار الدول وآثار الأول (451/2).
(4) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص70.
(5) المصدر نفسه ص 70.
(6) المصدر نفسه ص 70.
(7) الكامل في التاريخ (22/8) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 73.
(8) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 73.
(9) دولة سلجوق للبنداري ص 5، الدولة السلجوقية، سميرة ص 73.
(10) تاريخ بخارى منُذ أقدم العصور ص 14.
(11) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 14.
(12) المصدر نفسه ص 14.

رافع بن الليث في ما وراء النهر وبسط سلطته على سمرقند، فأرسل الخليفة ضده جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين، وهنا نجد أبناء أسد بن سامان يقفون إلى جانب هرثمة ويشدون من أزره واستطاعوا بجهودهم تلك أن يحملوا رافع بن الليث على عقد الصلح مع هرثمة، وبذلك أبعدوا سيطرته عن سمرقند [1].

وفي خلافة المأمون (198 - 218هـ) لقي أبناء أسد الأربعة احتراماً وتقديراً عند المأمون حيث قربهم إليه وشملهم برعايته لإخلاصهم في خدمته، فطلب من واليه على خراسان غسان بن عباد أن يسند إلى كل منهم ولاية على أكبر أقاليم بلاد ما وراء النهر، فأصبح نوح والياً على سمرقند، وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة وإلياس على هراة[2] وقد تمكن هؤلاء أن يثبتوا أنهم أهل للمسؤولية التي أنيطت بهم بأن أعادوا الأمن والاستقرار إلى هذه الأقاليم وأكدوا سلطة الخلافة العباسية عليها ولم تعد هذه الأقاليم كما كانت قبل هذه الحقبة موطناً لحركات التمرد والعصيان على الخلافة، وعلى الرغم من كل ذلك فقد استطاعوا توطيد نفوذهم في إقليم ما وراء النهر واكتسبوا بذلك مكانة رفيعة وسمعة طيبة في أنحاء الإقليم [3]. وقد برز من هؤلاء الأخوة الأربعة أحمد الذي أصبح إليه حكم فرغانة والشاس وقسم من الصغد وسمرقند واستمر في حكم المنطقة حتى وفاته عام 250هـ[4]، فتولى بعده ابنه نصر الذي حكم المنطقة حتى سنة 259هـ وصار يتبع الخلافة مباشرةً لانتهاء حكم الطاهريين هناك [5].

وفي سنة 263هـ عين الخليفة المعتمد، نصر بن أحمد والياً على بلاد ما وراء النهر بأكملها وقد تولى مناصب الولاية والحكم في مرحلة مهمة جداً في تاريخ السامانيين حيث يمكن اعتبارها البداية الحقيقية لقيام الدولة السامانية، فقد هيأت الظروف السائدة في هذا الإقليم البعيد عن مركز الخلافة العباسية للسامانيين فرصة وطدّوا من خلالها حكمهم هناك، فأصبحوا شبه مستقلين آخذين على عاتقهم مسؤولية حماية الأراضي الإسلامية، فضلاً عن تأمين استمرار التجارة وتدفق السلع المختلفة إلى مناطقهم واستطاعوا أن يحققوا لأنفسهم استقراراً سياسياً واقتصادياً جعلهم فيما بعد قادرين على التوجه نحو خراسان[6]، وبعد وفاة نصر تولى مقاليد الأمور في الدولة السامانية أخوه إسماعيل بن أحمد سنة 279هـ[7] والذي يُعد من أعظم حكام السامانيين بلا منازع في المجالات السياسية والحربية والإدارية على السواء، فقد شهدت الدولة السامانية في عهده رفاهاً واستقراراً سياسياً حيث اتسعت حدودها وتوطّد استقلالها أكثر من ذي قبل [8] وقد اتخذ إسماعيل من بخارى عاصمة له فشهدت في عهده ازدهاراً

(1) الدولة السلجوقية منذ قيامها.
(2) الدولة السلجوقية منذ قيامها.
(3) تاريخ ابن خلدون (226/4) الدولة السلجوقية، سميرة ص 15.
(4) الدولة السلجوقية مُذ قيامها نقلاً الكامل في التاريخ ص 15.
(5) المصدر نفسه.
(6) مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، سهيل ص 16.
(7) تاريخ الطبري نقلاً عن الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 17.
(8) الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 17.

فكرياً واسعاً حيث ترعرت ونشطت الثقافة الإسلامية [1] وبعد وفاة إسماعيل [2] تولى الحكم في الدولة السامانية ابنه أحمد وذلك عام 295هـ وأقر الخليفة المكتفي (289 - 295هـ) حكمه عندما بعث إليه بعهده على خراسان وما وراء النهر في ربيع الآخر من السنة نفسها [3]، وقد أثبت الأمير السامانى أحمد بن إسماعيل جدارة في الحكم فقد تغلب على جميع المتاعب وتمكن من تذليل مشاكل الحكم التي واجهته خلال عهده، فقد انتصر في عدة مواقع على الأتراك الرحالة الوثنيين خارج حدود الخلافة وعلى ذلك ولاه الخليفة شرطة بغداد، وأعمال فارس وكرمان [4]، وقد اهتم السامانيون بنشر الإسلام في صفوف الترك، وقاموا بتغيير استراتيجيتهم في القتال مع الترك وذلك أن السامانيين عدلوا عن أسلوب الدفاع الذي كان متبعاً في وادي سيحون ضد الكفار من الترك مُنذ شرع قتيبة بن مسلم في فتح هذه البلاد وكان هذا الأسلوب القديم يعتمد على إقامة الحصون، وحفر الخنادق التي تحمي المسلمين من غارات الترك المفاجئة، فلما جاء السامانيون عدلوا عن موقف الدفاع من وراء الحصون والخنادق عند وادي سيحون إلى موقف الهجوم على مناطق المراعي لتأديب الأتراك المغيرين، كما عدلوا عن إنشاء وترميم ما تهدم من هذه الحصون وكان لهذا التطور في طريقة الدفاع عن الأراضي الإسلامية تأثيره على علاقة الإسلام بالتركستان، إذ عبر كثير من سكان ما وراء النهر في جماعات متتابعة إلى مناطق المراعي بل وإلى داخل المناطق الصحراوية حيث أنشأوا مدناً صغيرة في شكل مستعمرات سكانية استقروا بها، وبدءوا منها نشاطهم الاقتصادي وواكب هذا النشاط الاقتصادي نشاط ملحوظ في الدعوة إلى الإسلام قام بالدور الأساسي فيه الدعاة إلى الله المتجردون المخلصون، فقد كان لهذا التطور، بالإضافة إلى ما صحبه وسبقه من نشاط تجاري دوره الكبير في تعرف الأتراك على الإسلام، هذا التعرف الذي انتهى بهم إلى الدخول فيه[5]، نظراً لما تتميز به عقائد الإسلام من بساطة تناسب طبيعتهم البدوية بالإضافة إلى ما تميز به الإسلام من سمو روحي، وتفوق مادي حضري أدركوا أثرهما في سلوك مواطنيهم الذين سبق وأن هاجروا إلى ما وراء النهر، ثم عاد بعضهم مع القادمين الجدد الذين أقاموا المدن المستعمرة بين ظهرانيهم في المراعي داخل الصحراء [6]، ومن فضل الله وتوفيقه أن الإسلام الذي انتشر بين صفوف الترك في ظل آل سامان كان الإسلام السني [7]، وقد كان الأتراك متحمسين لهذا المذهب.

أ- نهاية الدولة السامانية:

أثبت الأمير السامانى أحمد بن إسماعيل جدارة في الحكم فقد تغلب على جميع المتاعب وتمكن من تذليل مشاكل الحكم التي واجهته خلال عهده، وبعد وفاته سنة 301هـ، خلفه السعيد نصر الذي

(1) الدويلات الإسلامية في الشرق، محمد علي حيدر ص 97.
(2) الدولة السلجوقية مُنذ قيامها ص 18.
(3) تاريخ الطبري نقلاً عن الدولة السلجوقية مُنذ قيامها ص 19.
(4) الدولة السلجوقية مُنذ قيامها ص 19.
(5) التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ص 101.
(6) التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني ص 101.
(7) المصدر نفسه ص 102.

كـان طفلاً فـي الثامنـة مـن عمـره، فاضـطربت أمـور الدولـة السـامانية فـي أول عهـده وظهـرت الفتـن وتمرد أمراء الأطراف محاولين الاستقلال بولاياتهم، ولكن هذا الأمير الساماني الذي طال حكمه مدة ثلاثين عاماً تمكن أثناءها من التغلب على هؤلاء الطامعين جميعاً[1] ولكن ينبغي ألا ننسى أن بوادر الضعف وعلائم الانهيار ظهرت منُذ منتصف القرن الرابع الهجري، حيث ظهرت حركات الانقسام في صفوف الأسرة السامانية الحاكمة نفسها، وذلك عندما أراد إسحاق بن أحمد عم السعيد نصر الاستيلاء على الحكم وقد اتخذ سمرقند قاعدة لفعالياته [2]، وبدأت الدولة السامانية في الضعف ووافق ظهور الدولة البويهية الشيعية والتي كانت قد تمكنت من العراق وقد تطلع البويهيون إلى السيطرة على أملاك الدولة السامانية واشتبك الطرفان في حروب وقد تعرضت الدولة السامانية لضغوط متزايدة من كل الجهات، فمن الشمال والغرب تعرضت لضغط الديلم والعلويين، كما تعرضت لضغط خانات الأتراك الذين دخلوا الإسلام على يد السامانيين [3]، وقد استطاع البويهيون انتزاع كرمان من السامانيين والاستيلاء عليها وجباية أموالها التي قاموا بإنفاقها على جيوشهم عام 324هـ [4]، كما ساهمت الأوضاع التي وصل إليها السامانيون إلى اقتسام أملاكهم بين القراخانيين والغزنويين، حيث أخذ القراخانيين ما وراء النهر، أما ما تبقى من مناطق أخرى فكان من حق الغزنويين [5].

2- الغزنويون: 351 - 582 هـ:

أخذت الدولة الغزنوية اسمها من مدينة غزنة إحدى المدن في أفغانستان، ويرجع ظهور هذه الدولة إلى أحد القادة المسلمين المسمى " سبكتكين " فقد تولى منطقة غزنة من قِبل السامانيين، ثم مد سبكتكين سلطانه في الشرق حيث ضم إقليم خراسان الذي ولاه عليه نوح بن منصور الساماني في سنة 384هـ مكافأة له على قمع الثوار في بلاد النهر لكن سبكتكين اتجه بأعماله نحو الهند ولم يكن اتجاهه نحو البلاد التي كانت في حوزة السامانيين إلا تلبية لرغبتهم حين استعانوا به على قمع حركات الخارجين عليهم في خراسان، فقد انضم بقواته إلى نوح بن نصر الساماني في قتال الخارجين في خراسان وفي قتاله للبويهيين الذين رغبوا في الاستيلاء على خراسان من أملاك السامانيين واستطاع سبكتكين وابنه محمود مع قوات السامانيين الانتصار على هؤلاء الخارجين، كما انتصروا على بني بويه وأعادوا للسامانيين مدينة نيسابور وبعودة نيسابور إلى السامانيين ولى نوح الساماني ابنه محمود بن سبكتين عليها، كما ولاه على جيوش خراسان ولقبه - سيف الدولة - ولقب أخاه سبكتكين " ناصر الدولة " [6] وقد ولى سبكتكين منُذ أول الأمر وجهه شطر الأقاليم الهندية [7] فتمكن وعظم، وأخذ يُغير

(1) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 19.
(2) تاريخ الطبري نقلاً عن الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 19.
(3) العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 366.
(4) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 20.
(5) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية.
(6) العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 386.
(7) المصدر نفسه ص 368.

على أطراف الهند، وافتتح قلاعاً، وتمت لـه ملاحم مع الهنود [1] واشتبك مع أحد ملوكهم ويدعى جيبال في حروب طاحنة واستطاع سبكتكين أن يلحق به الهزيمة سنة 369هـ وأجبره على طلب الصلح على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلاً يحملها إليه، فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه سبكتكين من يتسلمها، فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه، فلما سمع سبكتكين بذلك.. سار نحو الهند فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم، وقصد - لمغان - وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة، وهد بيوت الأصنام وأقام فيها شعائر الإسلام.. ثم عاد إلى غزنة وسار خلفه جيبال في مائة ألف مقاتل، فلقيه سبكتكين وألحق به هزيمة كبيرة وأسر منهم مالا يعد وغنم أموالهم وأثقالهم، وذل الهنود بعد هذه الموقعة، ولم يكن لهم بعد راية، ورضوا بألا يطلبوا في أقاصي بلادهم، ولما قوى سبكتكين بعد هذه الموقعة أطاعه الأفغان [2]، وكانت دولته نحواً من عشرين سنة، وكان فيه عدل وشجاعة ونبل مع عسف [3]، وبعد وفاته عام 378هـ عهد بالإمرة إلى ابنه إسماعيل واستطاع ابنه محمود أن ينتزع الإمارة من أخيه إسماعيل بعد قتال مهول[4].

أ- محمود الغزنوي: من المؤسف حقاً أن لا يعرف كثير من المثقفين وخريجي الجامعات شيئاً عن هذا السلطان السني العظيم ومملكته في بلاد الأفغان وما كان عليه من حب للعمل وتقّرب إلى الله بحمل راية الدعوة وبث روح الجهاد والاستشهاد في جنده، ونشر السنة، وقمع البدع وما كان يتحلى به من قيم إسلامية مثلى كان لها أعمق الأثر في ازدهار مملكته والتفاف الناس حوله في محبة وتفان ووفاء [5].

إن سيرة السلطان محمود الغزنوي ودولته السُنية تستحق أن يفرد فيها دراسة خاصة بهما وندعو طلاب العلم والمهتمين بالتاريخ الإسلامي وفق منهج أهل السنة والجماعة القيام بهذا الواجب لسد ثغرة في المكتبة الإسلامية ويوضح أهمية الالتزام والسنة وأثر ذلك في قوة الدولة وينسف أكاذيب وشبهات الرافضة والباطنية حول هذا البطل السني العظيم ومع هذا لا يمنع من الحديث عنه في هذه العجالة، فقد وصفه ابن كثير بالملك العادل الكبير المثاغر [6]، المرابط المؤيد المنصور المجاهد يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين صاحب بلاد غزنة وتلك الممالك الكبار، وفاتح أكثر بلاد الهند قهراً، وكاسر بُدودِهم[7]، وأوثانهم كسراً، وقاهر هنودهم وسلطانهم الأعظم قهراً [8]، وقد سار في الرعية سيرة عادلة وقام بأعباء الإسلام قياماً تاماً، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها، وعظم شأنه في العالمين، واتسعت مملكته وامتدت رعاياه وطالت أيامه، ولله الحمد والمنة، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة العباسي القادر بالله، وكانت رسل

(1) سير أعلام النبلاء (484/17).
(2) الكامل في التاريخ نقلاً عن العالم الإسلامي في العصر العباسي ص 369.
(3) سير أعلام النبلاء (500/16).
(4) المصدر نفسه (485/17).
(5) تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء للعظم ص 180.
(6) المثاغر: أي المرابط على الثغور.
(7) البدود: جمع البُدّ وهو الصنم بالفارسية.
(8) البداية والنهاية (628/15).

الفاطميين من الديار المصرية تَفِد إليه بالكتب والهدايا والتحف فُيحرق بهم، ويقطع كتبهم ويُخَّرق حللهم [1]، ولما قدم التاهرتي الداعي مندوب الدعوة الفاطمية من مصر على السُّلطان يدعوه سراً إلى مذهب الباطنية، وكان التاهرتي يركب بغلاً يتلون كل ساعة من كل لون، ففهم السلطان محمود سِرَّ دَعوتهم، فغضب، وقتل التَّاهَرتي الخبيث، وأهدى بغله إلى القاضي أبي منصور محمد الأزدي شيخ هراة، وقال: كان يركبه رأس الملحدين، فليركبه رأس المُوحَّدين [2]. وأما فتوحاته فقد اتفق له في بلاد الهند فتوحات لم تتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده وغنم مغانم كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط كثرة من الذهب واللآلئ والسَّبْي، وكسر من أصنامهم وأبادهم وأوثانهم شيئاً كثيراً جدًّا، وبيَّض الله وجهه وأكرم مثواه وكان من جملة ما كسر من أصنامهم صنم عظيم للهنود يقال له : (سُومَنات)[3]، الذي كان يعتقد كفرة الهند أنه يحيي ويُميت ويحُجُّونه، ويقربون له النفائس، بحيث إن الوقوف عليه بلغت عشرة آلاف قرية، وامتلأت خزائنه من صنوف الأموال، وفي خدمته من البراهمة ألف نفس، ومئة جوقة مغاني رجال ونساء، فكان بين بلاد الإسلام وبين قلعة هذا الصَّنم مفازة نحو شهر، فسار السلطان في ثلاثين ألفاً، فيَّسَر الله فتح القلعة في ثلاثة أيام، واستولى محمود على أموال لا تحصى[4] بلغ ما تحصل منه من الذهب عشرين ألف دينار، وكسر ملك الهند الكبير الذي يقال له: - جبيال - وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له: إيلك خان، وأياد ملك السامانية، وقد ملكوا بخراسان مائة سنة بلاد سمرقند وما حولها، ثم هلكوا وبنى على جيحون جسراً غرم عليه ألْفي ألف دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره من الملوك، وكان معه في جيشه أربعمائة فيل تقاتل، وهذه قوة عظمية هائلة ومرتبة طائلة، وجرت له فصول ذكر تفصيلها يطول، وكان في غاية الديانة والصيانة، يحب العلماء والمحدثين يكرمهم ويجالسهم ويحسن إليهم، وكان حنفيّ المذهب، ثم صار شافعياً على يدي أبي بكر القفال الصغير[5]، وكان صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، وكان ذكياً بعيد الغور صائب الرأي، دخل ابن فورك على السلطان محمود، فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية لأنَّ لازم ذلك وصفه بالتحتية، فمن جاز له أن يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت. فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه، فبهت ابن فورك، فلما خرج من عنده مات [6]. وكان السلطان محمود مُكرماً لأمرائه وأصحابه، وإذا نقم عاجل، وكان لا يفتر ولا يكاد يَقِرُّ، وكان يعتقد في الخليفة العباسي ويخضع لجلاله ويحمل إليه قناطير الذهب وكان إلباً على القرامطة والإسماعيلية وعلى المتكلمين [7] وعندما ملك الري كتب إلى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمجد الدولة البويهي من النساء الحرائر ما يزيد عن خمسين امرأة ولدن له نيفاً وثلاثين ولداً، ولما سئل عن ذلك قال: هذه عادة سلفي، وصلب من أصحاب الباطنيين خلقاً كثيراً،

(1) البداية والنهاية.
(2) سير أعلام النبلاء (486/17).
(3) البداية والنهاية (634/15).
(4) سير أعلام النبلاء (485/17).
(5) البداية والنهاية (634/15).
(6) سير أعلام النبلاء (487/17).
(7) المصدر نفسه (487/17).

ونفى المعتزلة إلى خراسان وأحرق كتب الفلسفة والنجوم[1].

ب- الصراع الغزنوي السلجوقي: تمكن السلطان محمود الغزنوي من توسيع حدود دولته فغزا الهند سبع عشرة غزوة ووصلت حملاته إلى هضبة الدكن وضم إلى دولته كذلك إقليم البنجاب وأخضع بلاد الغوريين - غزنة وهراة - ومدَّ نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر [2]، وبذلك أصبحت حدود دولته تمتد من شمال الهند في الشرق إلى العراق في الغرب، ومن خراسان وطخارستان وجزء من بلاد ما وراء النهر في الشمال إلى سجستان في الجنوب وقد اتخذ من مدينة لاهور مقرًّا لحكمه في الهند حيث عينّ نائباً له هناك [3]، فلا غرابة في أن أخذ يرنو إلى القضاء على البويهيين في بغداد [4]، وكانت قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر قد تعاظمت في بداية القرن الخامس الهجري مما أثار حفيظة السلطان محمود الغزنوي فقام في سنة 415هـ بعبور نهر جيحون لمقاتلتهم، فنجح في القبض على زعيمهم أرسلان وولده قتلمش وعدد من كبار أصحابه وبعث بأرسلان إلى الهند حيث مات في السجن بعد أن قضى فيه سبع سنوات [5] وبعد أربع سنوات 419هـ خرج السلطان محمود لقتال السلاجقة مرة أخرى بناء على التماس سكان مدينتي (نسا) و- باورد - فأنزل بهم هزيمة ساحقة [6].

ج- معركة دنـدانقان وقيـام السـلطنة السـلجوقية: لقد ظل السلاجقة بعد الهزيمة يتحينون الفرص للثأر من الغزنويين فكان لهم ذلك بعد وفاة السلطان محمود وقيام ابنه مسعود بمهام السلطنة عام 421هـ، حيث تمكنوا من الانتصار على جيوشه [7]، لكنهم اتصلوا به وعرضوا عليه الصلح والدخول في طاعته فاستجاب لهم ومنح زعماءهم الولايات وأسبغ عليهم الألقاب وأغدق عليهم الخلع [8]، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الغزنويون يدركون مدى الخطر الذي كان يشكله السلاجقة عليهم لذلك فقد أمر السلطان مسعود عامله على خراسان سنة 429هـ بقتال السلاجقة فدارت الحرب بين الطرفين قرب مدينة سَرخس وقد انتهت دولتهم حيث اندفعوا بعدها بقيادة زعيمهم ظفر بك نحو نيسابور التي دخلها وأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي في السنة تلك نفسها سنة 429هـ [9]، وكان من نتيجة ذلك أن زحف مسعود بجيوشه نحو خراسان واشتبك مع السلاجقة بمعركة حاسمة في مكان يعرف باسم دَنَدانقان، انتهت بهزيمة الغزنويين وكان ذلك عام 431هـ، لم يلبث السلطان مسعود أن لقي مصرعه عام 432هـ، فخلفه ابنه مودود، وقد أصبح السلاجقة

(1) الكامل في التاريخ نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 66.
(2) الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 23.
(3) الدولة السلجوقية ص 24.
(4) أخبار الدولة السلجوقية للحسين ص 513.
(5) النجوم الزاهرة (50/5) الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 24.
(6) الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 24.
(7) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 25.
(8) الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 25.
(9) المصدر نفسه ص 25.

بعد معركة دَنَدانقان أكبر قوة في خراسان في حين كان الغزنويون قد ضعفوا بعد أن فقدوا غالبية جيوشهم وخسروا العديد من ممتلكاتهم، واستطاع الغوريون في أفغانستان من الاستيلاء على أملاكهم في الهند سنة 582هـ [1].

د- نتائج معركة داندانقان:

- وضعت معركة دندانقان حدًّا نهائياً لحكم الغزنويين في خراسان، ونصَّب طغرل بك التخت في مكان المعركة وجلس عليه، وجاء الأعيان يسلِّمون عليه بإمارة خراسان.

- حرَّر طغر بك الرسائل على الأمراء المجاورين لإعلامهم بخبر الانتصار.

- طاردت القوات السلجوقية القوات الغزنوية المنهزمة حتى شواطئ نهر جيحون بهدف قسرهم على الهرب إلى ما وراء النهر، حتى يقدموا برهاناً ملموساً على النصر.

- أتاحت المعركة قيام سلطنة إسلامية جديدة، وانحسار ظل واحدة، كما تُعد إحدى المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، بل إن نتائجها تعدّت العالم الإسلامي وأثرت على عالم العصور الوسطى [2].

- أعرب مسعود من ناحيته في رسالة أرسلها إلى القراخانيين عن ثقته في قيامهم بمساعدته في حملته المقبلة لاستئصال شأفة السلاجقة، غير أن صدمة الخسارة قد أذهلته لدرجة فقد معها الرغبة في المقاومة، فخيل إليه أنّه لا بد من ترك ليس بلخ وتوابعها بل وغزنة أيضاً، على الرغم من محاولات أركان حربه وكبار رجال دولته لإقناعه بانتفاء أُسس هذه المخاوف وقرّر الانسحاب نهائياً إلى الهند [3].

- اقتسمت العشائر السلجوقية، بعد الانتصار الأراضي التي استولوا عليها، فكان نصيب جفري مدينة مرو، فاستقر بها واتَّخذ منها عاصمة لملكه، كما ملك أكثر خراسان وكان نصيب أبو علي الحسن بن موسى، ولاية بُست وهراة [4] وسجستان [5] وما يجاور ذلك من النواحي. وأخذ قاورد أكبر أبناء جفري، ولاية الطبَّس [6] ونواحي كرمان [7] وحصل إبراهيم بن ينال على همذان [8]، كما حصل ياقوتي على أبهر [9]، وزنجان [10]، ونواحي أذربيجان [11]، وكان من نصيب

(1) المصدر نفسه.
(2) مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص 29.
(3) تاريخ البيهقي ص 727 - 728، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، محمد طقوش ص 29.
(4) هراة: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان، ياقوت الحموي (396/5).
(5) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين هراة عشرة أيام.
(6) الطَّبس: قصبة ناحية بين نسابور وأصفهان ياقوت (20/4).
(7) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان.
(8) همذان: أكبر مدينة بالجبال، شتاؤها مفرط البرد وتقع في منطقة الجبال شرق عراق العجم الحموي (410/5 - 417).
(9) أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل معجم البلدان لياقوت الحموي (82/1).
(10) زنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها.
(11) أذربيجان: إقليم واسع مشهور يحده من الشمال بلاد الديلم.

قُتلميش بن إسرائيل جرجان ودامغان [1]. والواقع أن فكرة التقسيم هذه تتعارض مع الفكرة الإيرانية عن الملك بوصفه صاحب السلطة المطلقة في الدولة، وهي غريبة على السلاجقة الأوائل إلا أن المسؤولين السلاجقة هدفوا من وراء ذلك على إحاطة السلطنة الغزنوية ومنعها من محاولة استعادة خراسان ثم تأمين فتح طريق جيحون من أجل قدوم مهاجرين غز جدد [2].

- يُعد عام 429هـ البداية الفعلية لقيام السلطنة السلجوقية في خراسان؛ لأن طغرل بك باشر منُذ ذلك التاريخ مهامه السياسية والقيادية والإدارية. وأما اعتراف الخليفة العباسي به سلطاناً والذي جاء متأخراً، في عام 432هـ، لم يغيرَّ من الواقع فاعتراف الخليفة هو بمثابة اعتراف بالأمر الواقع، كما أنه شكلي فقط لإضفاء الشرعية على السلطنة الناشئة حتى يرضى عنها الناس ويقبلوا بحكمها؛ لأن الخلافة لم تكن تملك قوة مادية تسمح بالتدخل والمساهمة في الأحداث السياسية، وكان الخليفة يعترف عادة بالسلطان المنتصر والدولة المنتصرة [3].

- كان لقيام السلطنة السلجوقية أثر كبير في تاريخ المشرق الإسلامي وغربي آسيا بشكل خاص، والتاريخ الإسلامي بعامة ذلك أن السلطنة قد ساهمت في توجيه الأحداث السياسية في المشرق الإسلامي بشكل بارز، وفي رسم سياسة توسعية باتجاه العالم النصراني لنشر العقيدة الإسلامية [4].

- إن ما حقَّقه طغر بك من نجاح، أغراه بالتمدد نحو العراق، قلب العالم الإسلامي للسيطرة على الخلافة العباسية وإقامة دولة سلجوقية مترامية الأطراف، يُعُد هذا التوجه طبيعياً، فكل من سبقوه في السيطرة على خراسان تطلَّعوا إلى التمدد نحو الغرب للسيطرة على بغداد والتحكم بمقدرات الخلافة العباسية، ولنا في محاولات السامانيين والصفّاريين والغزنويين أمثلة كافية، أضف إلى ذلك هدف طغرل بك إلى إنقاذ الخلافة، والمذهب السنيَّ من السيطرة البويهية الشيعية [5].

3- القراخانيون: 349هـ - 536هـ:

في عام 349هـ أسلمت قبائل كثيرة من الأتراك ودخلوا في الإسلام، وكان من نتائج ذلك أن ظهرت أول دولة تركية مسلمة مقابلة لأتراك الشرق، هي الدولة القراخانية نسبة لأحد ملوكها وهو ساتوق بغراخان عبد الكريم الذي كان يسمى أيضاً - قراخان -، فقد اتخذ هذا الملك مدينة كاشغر عاصمة له ولكنه، نقل العاصمة بعد ذلك إلى بلاساتمون حيث حاول القراخانيون من هناك فتح بلاد ما وراء النهر[6]، وما إن قامت هذه الدولة حتى شرعت في محاربة أعداء الإسلام ولاسيما المجاورين لها من الأتراك الوثنيين، وقد قاد ظهور القراخانيين في هذه المنطقة إلى اصطدامهم بالسامانيين وكان ذلك في عام 379هـ.

(1) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور وهو قصبة قومس.
(2) تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ص 30.
(3) المصدر نفسه ص 36.
(4) تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى 31.
(5) المصدر نفسه ص 31.
(6) نهاية الأرب (52/26) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 27.

وقد تمكن من إلحاق الهزيمة بجيش السامانيين وأسر جماعة من القواد، واستطاع القراخانيون احتلال بخارى عام 388هـ بدون مقاومة وبذلك أنهوا حكم السامانيين [1] بها وبقي القراخانيون يتنازعون فيما بينهم للسيطرة على مناطق ما وراء النهر وكان بعضهم يستنجد بملوك الصين والبعض الآخر بالسلاجقة حين أصبحوا تابعين لهم بعد إقامة الدولة السلجوقية، وقد حدثت موقعة قطوان بين الأتراك الوثنيين – الخطا - الذين كان يساعدهم ملك الصين وبين الأتراك المسلمين الذين كان يساعدهم سنجر السلجوقي (511هـ - 548هـ) وكانت نتيجة هذه المعركة أن انتصر الأتراك الوثنيون[2]، ويصف ابن خلدون الموقف بقوله: واستقرت الدولة فيما وراء النهر للخطأ.. وهم يومئذ على دين الكفر وانقرضت دولة الخانية المسلمين الذين كانوا فيها وذلك سنة 536[3]هـ.

4- البويهيون: 334هـ - 447هـ:

تنتسب هذه الأسرة إلى بويه بن فنّاخسرو الديلمي الفارسي وقد حكمت العراق وفارس لمدة تزيد عن القرن، وكان الخليفة العباسي في بغداد ضعيفاً بإزائهم أكثر مما كان مع الأتراك من قبل ولا تختلف هذه الأسرة عن أي أسرة أخرى عن كثير من الأسر في هذا العصر من ناحية الاستبداد والفساد الاقتصادي والاجتماعي وإن المؤسسين لهذه الدولة: علي بن بويه والحسن بن بويه فيهم سيادة ومداراة وحلم، ولكن الجيل الثاني والثالث فيهم بطش وقسوة وتعصب للمذهب الشيعي [4].

أ- لمحة تاريخية عن البويهيين: ظهر أولاد بويه: علي والحسن وأحمد على مسرح التاريخ بظهور أكبرهم الملقب عماد الدولة عام 321هـ وكان متولياً من قِبل أحد ملوك الديلم واسمه " مرداويح " على منطقة صغيرة اسمها (كرج) ولم يزل يتلطف الناس ويحسن إليهم حتى اشتهر بين البلاد المجاورة وأحبوه وخضعوا له ونزلوا على طاعته وساعده في ذلك إخوته حتى استولى على إقليم فارس وفي سنة 334هـ زحف أحمد بن بويه إلى بغداد، ودخلها دون قتال، وغدت العراق تحت سيطرة بني بويه، وأظهروا الطاعة للخليفة، وأخذوا ألقابهم منه، فلقب أحمد " معز الدولة " وبقي حاكماً على العراق نائباً عن أخيه عماد الدولة نيفاً وعشرين سنة ت 356هـ وأما ركن الدولة الحسن بن بويه فقد حكم أصبهان وطبرستان وجرجان، وأخوهم الكبير عماد الدولة، شيراز وما حولها، ولكنه هو المقدم فيه الذي يسمعون كلامه [5].

ب- تشيع البويهيين: لم يخف البويهيون تشيعهم، بل شجعوا المذهب الشيعي في بغداد للقيام بالأعمال الاستفزازية ضد أهل السنة، فكانت لا تمر سنة دون شغب واصطدامات تقع بين السنة والشيعة تذهب فيها الأرواح، والممتلكات وتحرق الأسواق، وجاء في حوادث 351هـ: وكتب الشيعة في بغداد بأمر معز الدولة على المساجد بلعن معاوية والخلفاء الثلاثة والخليفة العباسي لا يقدر على منع

(1) تاريخ ابن خلدون نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 29.
(2) الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 32.
(3) المصدر نفسه ص 32 نقلاً عن تاريخ ابن خلدون.
(4) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 48.
(5) المصدر نفسه ص 48.

ذلك [1].

وفي سنة 352هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة وأن يخرج النساء منتشرات الشعور، مسودات الوجوه، يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي،ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم [2]، وهذا أول ما نيح عليه [3] وقد وصف ابن كثير ما يفعل الشيعة من تعدي لحدود الكتاب والسنة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فقال: فكانت الدَّبادب [4]، تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويُذرُّ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المسوح على الدكاكين ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين؛ لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة [5].

ج- إهانتهم للخلفاء: تابع البويهيون سياسة الأتراك في إضعاف هيبة الخلافة وجعلها كأنها غير موجودة، وهم بهذا العمل إنما يدللون على بعدهم عن أي حس حضاري زيادة عما في قلوبهم من حقد على السنة، وكانوا يرون أن العباسيين مغتصبون للخلافة؛ ولذلك فكر معز الدولة بإعادة الخلافة إلى - آل علي - رضي الله عنه، فاستشار خواص أصحابه في إخراج الخلافة عن العباسيين والبيعة للمعز العبيدي في مصر، ولكن أحد أصحابه قال له: ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه [6] واستحسن معز الدولة هذا الرأي وأعرض عن فكرته [7]، وعندما قلّت الأموال عند بهاء الدولة حسّن له وزيره القبض على الخليفة الطائع وأطمعه في ماله، ودخل بهاء الدولة على الخليفة وأنزله على سريره، وهو يستغيث ولا يلتفت إليه أحد وأخذ ما في داره من الذخائر ونهب الناس بعضهم بعضها [8]، وكان سلفه معز الدولة البويهي هو الذي أهان المستكفي وأمر الجنود بشده من عمامته ثم أمر به إلى السجن ولم يزل فيه حتى وفاته[9].

د- وزراؤهم: كما وزر للعبيديين الفاطميين اليهود والنصارى كذلك وزر للبويهيين النصارى،

(1) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 48.
(2) الكامل في التاريخ نقلاً عن: أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 49.
(3) البداية والنهاية (577/11).
(4) الدبادب: جمع الدّبداب وهو الطبل.
(5) البداية والنهاية (577/11).
(6) الكامل في التاريخ نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 49.
(7) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 49.
(8) الكامل في التاريخ نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 50.
(9) البداية والنهاية نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 50.

ففي عهد عضد الدولة (فنّاخسرو بن الحسن بن بويه) كان وزيره نصر بن هارون وقد أذن لـه عضد الدولة بعمارة البيعَ والأديرة وأطلق الأموال لفقراء النصارى[1].

هـ - الصلة بين البويهيين والقرامطة: إن الذي يقرأ التاريخ مجزأً مقطعاً قد لا يدرك ولا يتنبه إلى الصلات التي كانت بين الحركات الباطنية ولا إلى الصلات بين الدولة الشيعية وهذه الحركات ويظن أن كل دولـة قائمة بنفسها ولا تربطها صلات مع الأخرى، وهكذا يظن - البعض - الآن، فلا يرون أن هناك صلات بين الرافضة والباطنية وإذا كان هناك شيء من هذا فهو يظن أنه للمصلحة السياسية المؤقتة. ولكن من يقرأ التاريخ ويقرأ الحاضر ويقارن بينهما سوف لا يجد فرقاً يذكر في المواقف [2]. وجاء في حوادث 360هـ: وفي ذي القعدة أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح وكان رئيس القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام، وقد أمدّه معز الدولة البويهي من بغداد بالسلاح والعدد الكثيرة [3].

وكتب الملك البويهي أبو كاليجار إلى المؤيد داعي الدعاة الفاطمي العبيدي عند سفره إلى مصر سنة 438هـ بعد أن تأثر بدعوته الإسماعيلية يقول: فيجب أن تصور لتلك الحضرة الشريفة - المستنصر العبيدي في مصر - ما أطلعت عليه من شواهد صفاء عقيدتنا وتُعلمها أن هؤلاء التركمان -السلاجقة- المسؤولين عن أعمال خراسان والري لا يقصر خطابهم عن بلادها المحروسة - الشام ومصر - الإثبات عساكرنا المنصورة في وجوههم وبذلنا الأموال في كف عاديتهم [4]. فهذا الملك البويهي يطلب شهادة حسن سلوك من الدولة العبيدية في مصر، ويشعرهم في نفس الوقت أنه هو المدافع عنهم أمام الزحف التركماني السلجوقي السني [5]. ومن هنا يتضح لنا درس مهم وهو حقيقية استعدادهم للتحالف والتعاون فيما بينهم مع الاختلاف في العقائد ومع ذلك يتحالفون ضد العدو المشترك.

و- موقفهم من حماية حدود الدولة الإسلامية: استغاث أهل الجزيرة بالعاصمة بغداد لصد غارات الروم واستجاب الشعب في بغداد لهذا النداء، وتجهزوا للجهاد، وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب مالاً لتجهيز الناس للغزو، واضطر الخليفة لبيع أثاث بيته ليدفع له الأموال ولكن بختيار أنفقها على مصالحه الشخصية وبطل أمر الغزو[6]. وهكذا ظهر أن بختيار كان مراوغاً ولم يكن صادقاً في طلب الأموال أو التهيؤ للغزو والجهاد [7]وإنما كان يقصد استنزاف أكثر قدر ممكن للقدرة المالية للخلافة العباسية رغم ضعفها.

ز- البويهيون والإقطاع العسكري: من بدع ظلمهم وجورهم التي ما سبقهم إليها أحد إقطاعهم

(1) المصدر نفسه نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 50.
(2) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 50.
(3) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 50 نقلاً عن البداية والنهاية.
(4) دخول الترك الغز إلى الشام د. شاكر مصطفى ص 323.
(5) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 51.
(6) البداية والنهاية نقلاً عن أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 51.
(7) أيعيد التاريخ نفسه؟ ص 51.

الأرض للقادة العسكريين وللجنود، وذلك بدلاً من الرواتب النقدية التي كانت تصرف لهم، وهذه الأرض المعطاة ليست من أراضي الدولة أو من الأرض الموات التي تقطع لإحيائها بل هي من الأرض المصادرة تعسفاً وظلماً من أصحابها الفلاحين وكان هؤلاء الجنود إذا لم تعجبهم الأرض أو لم تغل عليهم ما يريدون تركوها وأخذوا غيرها، وأدى هذا النظام إلى تدمير الحياة الزراعية وإفقار خزينة الدولة، ولم تحل مسألة الرواتب، يقول الدكتور عبد العزيز الدوري: والذي أراه هو أن خط البويهيين هو بداية الإقطاع العسكري ويبدو لي أن البويهيين انطلقوا من نظرة قبلية تعتبر الأرض المفتوحة غنيمة بحق الغزو وأهمل المفهوم الإسلامي بالنسبة للأرض[1]، كما أن بدعة ضمان القضاء بدأت في عهدهم، ففي سنة 350هـ أمر معز الدولة بتسمية عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب قاضياً على بغداد على أن يؤدي مائتي ألف درهم في كل سنة [2]. وهكذا نرى ظلم هذه الدولة وتعسفها وتعصبها فهي لم تقدم جديداً للحضارة الإسلامية، وأما كرم وزيرهم الصاحب بن عباد وتشجيعه للأدب وتنظيم عضد الدولة لبعض المشاريع في العراق وإنشاؤه المستشفى العضدي، كل ذلك لا يذكر أمام اتجاه الدولة العام في تمزيق أواصر المجتمع الإسلامي وتخريبه عقدياً واقتصادياً ووصف مؤسسها عماد الدولة بالعقل والحلم لا يغير من النتيجة العامة، وهي أن ضررها أكثر من نفعها، قال الذهبي: وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن وقتلوا وسبوا [3]. وقال: فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البُويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى[4] وقال عن عضد الدولة أبو شجاع فنّاخسرو:.. وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي بنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء، ونُقل أنه لما احتُضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى:{**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**} [الحاقة: 28، 29] [5].

ح- مناصرة الأمراء البويهيين لحركة التشيع وإثارة التفرقة والنعرات الضيقة: بحلول سنة 334هـ / 945م كانت الأوضاع العامة في العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً غاية في السوء وعدم تمكن البويهيين من بغداد زادوا الأمور سوءاً وكشفوا عن تشيعهم وإيمانهم بعقيدتهم معاضدين أبناء الفرق الشيعية العلوية الأخرى والتي كانت منتشرة في بغداد وبعض المراكز الحضرية في العراق آنذاك مثيرين للفتن الطائفية ولم يكن حال الخلفاء خلال هذه الفترة يسمح لهم بمواجهة بني بويه فقد تولى الخلافة خلال العصر البويهي خمسة من الخلفاء تفاوتت مدد خلافتهم وفقاً لموقف الأمير البويهي من كل منهم وقد لاقى كل من أولئك الخلفاء الكثير من ضروب الإهانة والاستخفاف والعنت من البويهيين [6]، ومن منطلق اعتقاد بني بويه بأن سيطرتهم على الخلافة وإضعاف نفوذ الخليفة لن يمكن أهل السنة من التصدي لهم، فقد باشروا خططهم

(1) نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية بحث في مجلة الاجتهاد ص 259.
(2) الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي للحجوي (142/2).
(3) سير أعلام النبلاء (232/16).
(4) سير أعلام النبلاء (252/16).
(5) سير أعلام النبلاء (250/16).
(6) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 60.

في محاولة نشر التشيع العلوي في المجتمع ومحاربة السنة مساندين في ذلك دعاة التشيع من أمثال موسى بن داود الشيرازي والذي اشتهر بلقب المؤيد في الدين وهو من عائلة عريقة في التشيع على المذهب القرمطي وكان أبوه محل احترام الخلفاء العبيديين، كما كان هو أيضاً محل احترام المرزبان بن عماد الدين أبو كاليجار البويهي وكان إذا كاتبه خاطبه بقوله: لشيخنا وظهيرنا ومعتمدنا المؤيد في الدين عصمة أمير المؤمنين أبي النصر أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده [1]، وقد كان المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي من المجيدين للّغتين العربية والفارسية وله الكثير من المؤلفات التي يعتمد عليها الإسماعيلية إلى يومنا هذا [2]، وقد لعبت كتبه دوراً كبيراً في نشر الضلال والانحراف والزيغ وعبرت عن مدى تمسكه بمبادئ الحركة القرمطية، ومن أشهر كتبه كتاب المجالس المؤيدية ويضم ما كان يلقيه في مجالس الدعوة الإسماعيلية بعد أن ترقى في سنة 451هـ/1059م إلى مرتبة داعي الدعاة وله أيضاً كتاب الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير بالإضافة إلى عدة كتب أخرى وديوان شعر منحرف أيضاً [3]، وهكذا وبدعم أمراء بني بويه لأمثال هذا الداعية الشيعي لم يمض وقت طويل حتى بدأت الفتن العارمة التي نجم عنها العديد من المعارك الداخلية وحالات الاقتتال الطائفي تأخذ مداها بين أهل السنة والشيعة[4].

وأول إشارة إلى الفتن بين الشيعة وأهل السنة خلال العصر البويهي حصلت سنة 338هـ /951م وقد كان من نتيجتها أن نهيت الكرخ [5]، وفي رمضان من سنة 340هـ / 951م وقعت فتنة عظيمة بالكرخ بسبب المذهب [6]، وفي السنة نفسها ظهر ببغداد رجل ادعى بأن أرواح الأنبياء والصديقين تنتقل إليه، وقد وجدت في داره كتب تدينه بالزندقة فتم القبض عليه: فلما تحقق أنه هالك ادعى أنه شيعي ليحضر عند معز الدولة بن بويه وقد كان معز الدولة بن بويه يؤيد الرافضة، فلما اشتهر عنه ذلك، لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من معز الدولة وأن تقوم عليه الشيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون [7] وتقدم هذه الحادثة الدليل الواضح على مدى إسناد بني بويه لفرق الشيعة الرافضة الأخرى ومدى تشجيعهم ومناصرتهم لهم، وللمنتسبين لهم حتى ولو كانوا من الزنادقة ويدعم هذا الرأي ما حدث في سنة 341هـ / 952م حيث ظفر الوزير المهلبي بقوم من التناسخية وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة، انتقلت إليها، وفيهم آخر يزعم أنه جبريل، فضربوا فتعززوا بالانتماء لأهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لتشيع كان فيهم، والمشهور عن بني بويه التشيع والرفض [8]، وهكذا كان لمغالاة بني بويه في التشيع نتائج سيئة الأثر حيث عمت الفوضى والانحرافات العقدية ولم تعد الفوضى قاصرة على بغداد أو مدن العراق الأخرى، بل شملت بعض أنحاء الدولة العباسية الأخرى وفي سنة 346هـ/957م تجددت الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد

(1) القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، طه الولي ص 200.
(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 63.
(3) المصدر نفسه ص 63.
(4) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 64.
(5) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 64.
(6) المصدر نفسه ص 65.
(7) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهى ص 65.
(8) النجوم الزاهرة (307/3، 308).

بسبب سب الصحابة وكان من نتيجة ذلك أن قتل من الفريقين خلق كثير دون أن تتحرك السلطة لمعالجة الصراع وفي السنة التالية 347هـ /958م انتشرت ظاهرة سب وتكفير الصحابة في كثير من البلدان [1] واشتدت الفتنة الطائفية بين الرافضة والسنة ووقعت في جمادى الأولى سنة 348هـ / 959م حرب شديدة بين أتباع مذاهب السلف من أهل بغداد والمتشيعة وقتل فيها جماعة واحترق من البلد كثير وفي السنة التي تلت، أي سنة 349هـ/960م وبسبب الفتنة الطائفية تعطلت صلاة الجمعة في جميع مساجد بغداد [2]، وفي سنة 351هـ كتب العامة على مساجد بغداد : لعن معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب [3] فاطمة فدكاً، ومن أخرج العباس[4] من الشورى ومن نفى أبا ذر الغفاري[5] ومن منع دفن الحسن عند جده ولم يمنع معز الدولة ذلك[6] وقد ثار أهل السنة من هذا التعريض المباشر بصحابة النبي ρ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول وأقدموا خلال ساعات الليل على إزالة الشعارات التي رفعها الرافضة، غير أن الأمير البويهي معز الدولة أصر على ضرورة إعادة تلك الشعارات وإبقائها مرفوعة رغم ما تشكل من تحد سافر لمشاعر عموم المسلمين من أتباع مذاهب السلف وأهل السنة، وقد نصحه وزيره المهلبي بالامتناع عن ذلك مداراة للرأي العام وبأن يكتب مكان ما محا: لعن الله الظالمين لآل رسول الله ρ [7]، وصرحوا بلعنة معاوية فقط [8]. وهكذا يثبت الأمير البويهي مدى ضيق أفقه وتحزبه الأعمى لأبناء مذهبه فقد أيد الروافض وتعصبهم وموقفهم المنافي لعقيدة الإسلام التي نزلت على رسول الله من الله تعالى وبينها رسول الله ρ للمسلمين. وقد اتسع نطاق الصراعات الطائفية ولم تعد قاصرةً على بغداد بل إنها شملت البصرة وهمذان وقتل فيها خلق كثير[9]، مما

قدم الدليل على أن أمراء بني بويه وعلى رأسهم معز الدولة قد أسندوا الشيعة الغلاة الذين كانوا يطمعون في تشييع المجتمع خلال فترة سيطرة البويهيين على مقاليد الحكم وتسلطهم على الخلافة ودون إعطاء أي اعتبار للخليفة العباسي السني الذي يحكمون باسمه [10] وقد توسع في بيان تشجيع الأمراء البويهيين لحركة التشييع وإثارة التفرقة والنعرات الضيقة الدكتور رشاد عباس معتوق فمن أراد التفصيل فليراجع كتابه القيم (الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي). ويعتبر العصر البويهي: من أقبح عهود التاريخ الإسلامي وأشدها فقد احتل البويهيون قسماً كبيراً من شرقي بلاد الخلافة العباسية بما فيها العراق وبغداد وكانوا شيعة غلاة ولم يلغوا الخلافة العباسية لأسباب سياسية فأدى الأمر إلى صراع مرير جداً بين

(1) الحياة العليمة في العراق خلال العصر البويهي ص 67.
(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص67.
(3) يقصدون أبا بكر وكذبوا في ذلك لأن أبا بكر نفذ حكم رسول الله في فدك.
(4) يقصدون عمر في ترشيحه لأهل الشورى حيث كانوا من العشرة المبشرين بالجنة.
(5) يقصدون عثمان وعثمان لم ينفي أباذر ولكن أباذر أختار ذلك.
(6) المنتظم (7/7، 8).
(7) الحياة العليمة في العراق خلال العصر البويهي ص 68.
(8) تاريخ الخلفاء ص 639.
(9) الكامل في التاريخ نقلاً عن الحياة العلمية في العصر البويهي ص 68.
(10) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 69.

السنة والشيعة وكانت بغداد خاصة مسرح هذا الصراع [1].

طـ إنشاء مراكز شيعية متخصصة في التأليف والتعليم في بغداد والنجف والكاظمية:

كان لتشيع البويهيين دوره الخطير في تشجيع العلماء القائلين بوجهة نظرهم فقد عملوا على الاهتمام بالعلوم المذهبية وتقديم الرعاية للعلماء والمتشيعة للعلويين بصفة عامة حتى يظهروا أمام أتباعهم بمظهر الحريص على المذهب المدافع عنه وهم بذلك يعبرون عن ميول شيعية متعصبة دفعتهم إلى تأسيس العديد من المراكز الشيعية في العراق والتي خدمت أغراض تعصبهم المذهبي فقد حرصوا على تحويل المجتمع الإسلامي نحو الإيمان بمعتقدهم وهكذا تجدهم يقربون علماء الشيعية ويرعونهم ويشجعونهم على الكتابة في الكثير من التخصصات الفلسفية والمنطقية بالإضافة إلى الرياضيات وعلم الهيئة، وشجعوهم بشكل خاص على التأليف في العلوم التي تخدم المذهب الشيعي وهكذا ظهرت العديد من المجاميع الخاصة بهم والتي كرست لوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ρ ومن أمثلة ذلك المحدث الرافضي أبو الفضل الشيباني (ت387هـ / 997م).

الذي كان يروي غرائب الأحاديث، وكان ممن يضع الأحاديث للرافضة[2]، وقد التبس أمره على الناس فكتبوا الكثير من مروياته فلما ظهر لهم كذبه مزقوا أحاديثه[3]، وقد شهد العصر البويهي عدداً غير قليل من محدثي الشيعة كابن الجعابي وأبي الطيب الدوري، والمعبدي وابن البقال والنوبختي والكلوذاني وغيرهم ممن عملوا على إسباغ صبغة الاعتزال والتشيع على مروياتهم وكان ذلك بمناصرة ومعاضدة أمراء بني بويه لخدمة أهدافهم في تشييع المجتمع الإسلامي[4]، ولم يتوان أمراء بني بويه عن تشجيع عدد كبير من فقهاء التشيع والرفض في إظهار مساهماتهم في نشر التشيع بين عامة الناس في المجتمع الإسلامي وكان خطر هؤلاء المبتدعة كبيراً على الأمة الإسلامية لما اتصفوا به من انحراف في المعتقد وتزييف للحقائق وافتراء على المشرع ومن أولئك على سبيل المثال أبو القاسم علي أحمد العلوي الكوفي ت (963/352م) وهو من الشيعة الغلاة ومن كتبه الاستغاثة في بدع الثلاثة، ويقصد بالثلاثة الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وقد قال في جملة ما قاله في هذا الكتاب بأن القرآن الذي بين أيدي الناس هو قرآن ناقص [5]، ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان المعروف بالشيخ المفيَد (ت 413هـ - 1022م) وكان ذا مكانة كبيرة لدى أمراء بني بويه [6]، وكانت له تصانيف كثيرة[7] ويكفي الإشارة إلى ما كتبه الخطيب البغدادي عن الشيخ المفيد ابن المعلم ليظهر مدى خطره على الناس من العامة خاصة، فلقد ترجم له بقوله: شيخ الرافضة والمتعلم على مذاهبهم، صنف كتباً كثيرة في ضلالاتهم والذي عن اعتقاداتهم ومقالاتهم والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين وكان

(1) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 90.
(2) تاريخ بغداد (466/5، 467).
(3) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 104.
(4) المصدر نفسه ص 104.
(5) أعياد الشيعة نقلاً عن الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي 105.
(6) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 106.
(7) المصدر نفسه ص 106.

أحد أئمة الضلال هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه [1]، وقد أدى اهتمام البويهيين بالعلم والعلماء إلى انتشار خزانات الكتب وإلى جانبها دور للعلم يمكن اعتبارها من المؤسسات المساعدة لمراكز التشيع حيث كان الغرض منها حث علماء الشيعة على الاطلاع والتأليف ومن بينها دار العلم ببغداد وهي دار ابتاعها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير 383هـ/993 بمحلة الكرخ جدد عمارتها ونقل إليها كتباً كثيرة وأوقف عليها أوقافاً كثيرة وسماها دار العلم [2]، ومن بينها الدار التي أسسها نقيب العلويين الشريف الرضي المتوفى سنة 406هـ/1015م في الكاظمية على الجانب الغربي من دجلة مقابل مقابر قريش وأسماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم ووفر لهم كافة ما يحتاجونه[3]، ويعتبر أبو عبد الله المرزباني من الأدباء والكتاب الذين جعلوا دورهم مركزاً للتشيع والاعتزال، فقد كان المرزباني معتزلياً يتشيع [4]، ولقد أنشأ البويهيون خلال مدة حكمهم العديد من مراكز التشيع واعتنوا اعتناءً كبيراً بتلك التي كانت موجودة وقائمة قبل وصولهم، ووجدت هذه المراكز في كل كرخ من كرخ بغداد والكوفة والنجف وكربلاء والكاظمية والبصرة والحلة [5] وقد لعبت تلك المراكز أدواراً مهمة في تجميع الشيعة وتوحيد صفوفهم ودفعهم إلى نشر أفكارهم ومعتقداتهم خاصة وأنهم وجدوا مناصرة ومعاضدة من المتسلطين على الخلافة العباسية من أمراء بني بويه، وكذلك من وزرائهم الذين نهج معظمهم نفس النهج [6].

ي- إشاعة الآراء المنحرفة للفلاسفة مثل حركة إخوان الصفا:

من أخطر الحركات الفلسفية التي ظهرت خلال العصر البويهي حركة إخوان الصفا التي تتمثل أفكارها في الانحرافات الباطنية والتي تعبر عنها شكلاً ومضموناً، وقد اختلف المؤرخون حول زمن نشأة حركة إخوان الصفاء، وإن أقدم من ذكر إخوان الصفاء هو أبو حيان التوحيدي، ومن خلال ما أورده عنهم يتبين أن موطن نشأتهم كان مدينة البصرة منبت حركة الإعتزال ومرتع المتشيعة، والمقر التاريخي لصاحب حركة الزنج، ولقد عرفت جماعة إخوان الصفاء في منتصف القرن الرابع الهجري، وهي فترة شهدت ضعفاً وترديا كبيراً في قوة ومكانة الخلافة العباسية وتسلطاً أجنبياً خبيثاً ومنحرفاً، وقد تهيأت الظروف خلال هذه المرحلة لظهور العديد من الأفكار والحركات، ومن بينها أفكار إخوان الصفا، وتكاد المصادر أن تجمع على أن جماعة إخوان الصفا جماعة سرية تتألف من طبقات متفاوتة وفق أسس ذكروها في رسائلهم، كما تتفق على أنهم من الشيعة الإسماعيلية وتمثل آرائهم وأفكارهم الفلسفية المبادئ الأساسية لفرقة الإسماعيلية التي تقوم أساساً على التأويل الباطني، ويصف إخوان الصفا الصلاة مثلاً [7] بأنها هي المقصودة بالقيود، بل إنهم يقرون أن للدين ظاهراً وباطناً ولقد حظيت آراء وأفكار الفلاسفة خلال العصر البويهي بالكثير من التشجيع والمعاضدة فلقد

(1) تاريخ بغداد (231/3).
(2) المنتظم (172/7) الحياة العلمية في العراق ص 110.
(3) البداية والنهاية نقلاً عن الحياة العلمية ص 111.
(4) تاريخ بغداد (135/3، 136).
(5) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص111.
(6) المصدر نفسه ص 113.
(7) الإنسان في فكر إخوان الصفا ص 37 عبد اللطيف محمد العبد.

كانت عناية أمراء بني بويه كبيرة بكل ما لـه اتصال بالفلسفة والمنطق والكلام والتنجيم وأولت المختصين بها عناية فائقة [1]، وقد حفلت مجالس البويهيين على الدوام بحضور العديد من المعتزلة والفلاسفة والمنطقيين وغيرهم من العلماء المتشيعين الذين سخروا علمهم لخدمة أمراء بني بويه والشيعة الرافضة [2].

ك- نهاية الدولة البويهية: تمت على أيدي السلاجقة بعد أن بدأ الانقسام والنزاع بين أفراد البيت البويهي، حيث تنازع أبناء عضد الدولة فيما بينهم على الحكم واستقرت الأمور بيد بهاء الدولة حتى نشب الصراع ثانية بين أولاده سلطان الدولة وشرف الدولة وجلال الدولة واندلعت الحروب بينهم[3]، مما صرفهم عن مواجهة خصومهم في الخارج، فكانت نهاية حكمهم على يد السلطان السلجوقي طغرل بك الذي أزال الله به ملكهم وأراح المسلمين من شرهم، عندما دخل بغداد وقبض على آخر حاكم منهم وهو الملك الرحيم أبو نصر خسرو وذلك سنة 447هـ وبعث به مقيداً إلى الري وأسقط اسمه من الخطبة في شهر رمضان من تلك السنة وبذلك زالت الدولة البويهية من الوجود لتأخذ مكانها الدولة السلجوقية [4].

5- اجتماع السلاجقة على زعامة طغرل بك وتوسع دولتهم: كانت الغنائم التي حصل عليها السلاجقة في معركة دَنَدانقان كثيرة جداً، وبعد انتصارهم في تلك المعركة عاد طغرل بك إلى نيسابور فدخلها مع جموع في أواخر عام 431هـ وأوائل 432هـ [5]، ولم تنج المدينة هذه المرة من النهب، فلما أحرز السلاجقة النصر في هذه المعارك ازدادوا قوة ولحقت بهم جيوشهم المتفرقة في أطراف خراسان، فاشتد وقعهم في القلوب وتقرر الملك لهم، واجتمع بعد ذلك الإخوان جفري بك وطغرل بك مع عمهما موسى بن سلجوق الذي كان يطلق عليه - بيغو - وأبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم [6] ويقول الراوندي: ولقد سمعت أن طغرل بك أعطى لأخيه سهماً وقال له: اكسره. فتناول أخوه السهم وكسره في هوادة، ثم جمع له سهمين فكسرهما أيضاً في هوادة ثم أعطاه ثلاثة فكسرهما بصعوبة، فلما بلغ عدد السهام أربعة تعذر عليه كسرها، فقال له طغرل بك: إن مثلنا مثل ذلك فإذا تفرقنا هان لأقل الناس كسرنا، وأما إذا اجتمعنا فلا يستطيع أحد أن يظفر بنا، فإذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم، وتغلب علينا الأعداء وذهب الملك من أيدينا[7]. وجدد السلاجقة العهد لطغرل بك كقائد أعلى لجيوشهم وسلطاناً لهم على دولتهم، ورغم أن جفري بك كان أكبر منه سناً، إلا أن طغرل بك كان يتميز بشجاعته النادرة وقوة شخصيته مع تدين ملحوظ وذكاء حاد [8]، وكلها صفات رجحت كفته، وهكذا قامت دولة

(1) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 137.
(2) الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ص 138.
(3) الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 39.
(4) المصدر نفسه ص 39.
(5) تاريخ البيهقي ص 695، الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 128.
(6) الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 128.
(7) راحة الصدور ص 165.
(8) النجوم الزاهرة نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 128.

السلاجقة[1] وقد شملت فتوح السلاجقة الأولى خراسان وكرمان وأذربيجان وهمدان وجرجان، فقسموا هذه الولايات التي كانوا قد استولوا عليها فيما بينهم [2]، وكانت بلخ من أقوى مراكز السلاجقة في الشرق، ونيسابور في الغرب، ومن هذين المركزين أخذ نفوذهم في الانتشار والتوسع [3]، وقد اختار طغرل بك مدينة الري لتكون حاضرة ملكه[4].

أ- تنظيم إدارة الدولة في عهدها الأول: من أجل تنظيم إدارة دولته فقد قسمها السلاجقة إلى أقاليم، وعينوا على كل إقليم منها حاكماً، من أفراد البيت السلجوقي أطلقوا عليه لقب - شاه - و - ملك - وأما الرئيس الأعلى للدولة بأجمعها، فأطلق عليه لقب " سلطان " وكانت له الكلمة النافذة في جميع أنحاء الدولة، وبهذا التنظيم وطّد طغرل بك سلطته في تلك البلاد، وضمن الوحدة بين أفراد أسرته، لقد كان أخوة طغرل بك وأبناؤهم يتولون الحكم في أطراف البلاد تحت سلطته [5]، ومذهبهم السياسي في الحكم أنهم كانوا يعدون المناطق المفتوحة ملكاً لأفراد الأسرة المالكة ولم يعمل طغر بك على إقامة حكم فردي ينحصر في شخصية، بل فتح حكم المناطق التي تدخل في حوزة السلاجقة حديثاً إلى المقربين من آل سلجوق وترك لهم سلطة الحكم كاملة هدفه من ذلك الإبقاء على الترابط والوحدة بين طغرل بك وإخوته وأبنائهم وهكذا يتضح بشكل جلي الطبيعة القبلية في سلوك السلاجقة وحبهم للرئاسة والجاه وقد حاول طغرل بك زعيمهم إرضاء هذه النزعة فعينهم حكاماً وقادة وملوكاً، لكل منهم جيشه الخاص ووزيره وحجابه ومعاونوه في الحكم والإدارة، كما حرص السلاجقة على تكريم علماء الدين وشيوخ الصوفية كي يثنوا عليهم ويزداد حكمهم قوة [6]، ومع ذلك فإن تقسيم الدولة إلى ولايات شبه مستقلة أصبح شرًّا في عهد ضعف السلاجقة وكثرت المنازعات في أرجاء الدولة مما ساعد على تمزقها وسرعة انهيارها وزوالها [7].

ب- اعتراف الخليفة العباسي بالسلاجقة: بعد أن وطّد طغرل بك أركان دولته وأرسى قواعدها لم يبق سوى الحصول على اعتراف من الخليفة به ليكسب سلطته الصفة الشرعية في أعين المسلمين، لذلك أنفذ في عام 432هـ رسالة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله حملها إليه أبو إسحاق القفاعي [8]، تضمنت ولاء السلاجقة له، وتأكيد تمسكهم بالدين الإسلامي، والتزامهم بالجهاد في سبيل الله وحبهم للعدل والتماسهم الحصول على اعتراف الخليفة بقيام دولتهم[9]. وكان السلاجقة في أشد الحاجة للدعم المعنوي من الخليفة العباسي صاحب النفوذ الروحي على العالم الإسلامي السني

(1) الدولة السلجوقية منذ قيامها ص 128.
(2) الدولة السلجوقية منذ قيامها ص 129 تاريخ الإسلام (10/4) حسن إبراهيم.
(3) الدولة السلجوقية ص 129.
(4) راحة الصدور للراوندي ص 104 الدولة السلجوقية ص 129.
(5) الدولة السلجوقية منذ قيامها ص 130.
(6) إيران العراق ص 41 حسنين.
(7) الدولة السلجوقية منذ قيامها ص 130.
(8) دولة آل سلجوق للبنداري ص 8، الدولة السلجوقية ص 131.
(9) راحة الصدور ص 166، 167، الدولة السلجوقية ص 131.

وكانت نوعية هذه العلاقة بين السلاطين والخلفاء من ثقافة ذلك العصر الذي ضعفت فيه مؤسسة الخلافة وتقلص نفوذها وسلطانها وصلاحياتها وهي ظاهرة مرضية في الأمة.

وقد جاء في هذه الرسالة ما نصه : " نحن معشر آل سلجوق أحطنا دائماً الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائماً في غزو الكفار وإعلان الجهاد، داومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عَمٌّ مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق فقبض عليه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله إلى قلعة كالنجرد ببلاد الهند فقضى في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الأخرى الكثير من أهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية، واشتغل باللهو والطرب، فلا جرم إذ طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم، ولكن مسعود وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كَرّ وفر، وهزيمة وظفر، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن، فانحاز إلينا آخر مدد لمسعود ومعه جيش جرار، وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل، بفضل إقبالنا على الحضرة المقدسة المطهرة، وانكسر مسعود وأصبح ذليلاً وانكفأ علمه، وولى الأدبار تاركاً لنا الدولة والإقبال، وشكراً لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ونحنُ نرجو أن نكون في هذا قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين " [1].

وما إن وصلت هذه الرسالة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله حتى سُرَّ بها غاية السرور، وأظهر رغبته في التقرب إليهم وبادر بإيفاد رسول إلى السلطان طغرل بك الذي كان في مدينة الري سنة 435هـ وكان ذلك الرسول هو أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، وقد تضمنت الرسالة رغبة الخليفة العباسي في عقد صلح بينه وبين الأمير البويهي أبي كاليجار[2]، وتقبيح ما فعل أصحابه من فساد، وأن معاملة الرعية، كما أمر الخليفة رسوله أن يتقرب على طغرل بك ويدعوه للحضور إلى دار الخلافة في بغداد[3]، فضلاً عن الرسالة فقد كان الماوردي يحمل معه إلى طغرل بك الخلع السلطانية التي منحها إياه الخليفة، مع كتاب تفويض بحكم البلاد[4]، وعاد الماوردي إلى بغداد سنة 436هـ بعد أن مكث مدة عام في جرجان[5]، فأخبر الخليفة عن طاعة طغرل بك له وتعظيمه لأوامره والتزامه بها[6]، كما أرسل طغرل بك إلى الخليفة مع الماوردي عشرين ألف دينار[7].

لقد كان لاعتراف الخليفة العباسي بقيام دولة السلاجقة أثر كبير في تقرب السلاجقة من الخلافة العباسية، فأخذت العلاقات بين طغرل بك والخليفة العباسي القائم بأمر الله تتوطّد على مر الأيام، كما

(1) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 131.
(2) المصدر نفسه ص 132.
(3) راحة الصدور ص 168، دولة آل سلجوق ص 8.
(4) المنتظم لابن الجوزي نقلاً عن قيام الدولة السلجوقية ص 134.
(5) المنتظم لابن الجوزي نقلاً عن قيام الدولة السلجوقية ص 134.
(6) وفيات الأعيان (400/2).
(7) المنتظم نقلاً عن قيام الدولة السلجوقية ص 132.

كان لهذا الاعتراف أثر في اكتمال الكيان الشرعي لدولة السلاجقة أمام المسلمين الخاضعين لسلطتهم في المشرق[1].

ج- اتساع رقعة الدولة: بعد أن شعر طغرل بك أول سلاطين السلاجقة بالاطمئنان على دولته إثر اعتراف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بها، توجه أمراء السلاجقة كل إلى المنطقة المخصصة له، وشرع بتنفيذ ما تبقى من خطته الرامية إلى إتمام سيطرة السلاجقة على بلاد فارس، ومن ثم التوجه منها للسيطرة على العراق، ففي عام 433هـ تحرك طغرل بك على رأس جيش كبير من أجل تحقيق ذلك الهدف، وكان الديالمة يسيطرون آنذاك على معظم أجزاء بلاد فارس والعراق ولكنهم مع ذلك كانوا في نزاع مستمر مما أضعفهم وسهل على السلطان السلجوقي طغر بك التغلب عليهم وإنهاء حكمهم، فقد كان النصر حليفه في كافة حروبه معهم والتي انتهت بسيطرته على بلاد فارس والعراق حيث دخل حاضرة الخلافة العباسية بغداد [2]، فقد بدأ طغرل بك بالهجوم أولاً على جرجان وطبرستان من أجل القضاء على حكم أنوشروان الزياري الديلمي الذي كان يسيطر على هذين الإقليمين وإدراكاً من هذا الأخير لقوة السلاجقة وأنه لا طاقة له بقتال طغرل بك، قرر أن يخضع له وأعلن تعهده بطاعته وأداء إتاوة سنوية له، وبذلك ضم طغرل بك هذين الإقليمين إلى دولة السلاجقة، ثم لم يلبث أن أزال حكم الزياريين الديالمة منها، وعين عليها والياً من قبله فكان هذا إيذاناً بسقوط الدولة الزيارية وانتهاء نفوذها في بلاد فارس [3]، وبعد ذلك توجه طغرل بك إلى خوارزم لفتحها وكان ذلك عام 434هـ[4]وما إن تم له ذلك حتى سيطر على ما يجاورها من المناطق، فأصبح السلاجقة أكبر قوة في بلاد فارس وما وراء النهر، وكان هذا سبباً في مسارعة حكام الأقاليم إلى إعلان طاعتهم وولائهم لهم وموافقتهم على دفع إتاوة سنوية كل هذا أتاح الفرصة لطغرل بك للتوجه إلى وسط بلاد فارس وغزو مدينة الري[5]، فسار على رأس جيش كبير نحوها في العام نفسه فدخلها فاتحاً عاصمة له ومقراً لحكومته[6]، وكان لهذه الانتصارات التي حققها السلاجقة بزعامة السلطان طغرل بك في بلاد فارس وفي ما وراء النهر انعكاساتها على الخليفة العباسي القائم بأمر الله في بغداد، فما كان منه إلاّ أن بعث رسولاً من قبله إلى مدينة الري يحمل رسالة منه للسلطان السلجوقي يدعوه فيها لزيارة بغداد [7]لقد أبلغ مبعوث الخليفة السلطان السلجوقي بأن الخليفة قد سُرَّ برسالة السلاجقة إليه كثيراً، وردَّ عليها برد حسن تضمن موافقته على قيام دولة السلاجقة، وأن الخليفة يسره أن يستقبل سلطان السلاجقة في بغداد

(1) الدولة السلجوقية مُنْذ قيامها ص 133.
(2) المصدر نفسه ص 134.
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 134.
(4) المصدر نفسه ص 134
(5) المنتظم لابن الجوزي (10/8).
(6) الدولة السلجوقية مُنذ قيامها ص 135.
(7) إيران والعراق، حسنين ص 43، الدولة السلجوقية ص135.

عاصمة الخلافة كضيف عزيز كريم [1]، واستقبل السلطان طغر بك مبعوث الخليفة العباسي أحسن استقبال ورحب بدعوته إياه لزيارة بغداد، ووعد بالقيام بها في الوقت المناسب[2].

ومن جهة أخرى فقد بقي مبعوث الخلافة في الري مدة ثلاثة سنوات من أجل مرافقة طغرك بك عند توجهه لزيارة بغداد ولكنه اضطر إلى الرجوع وحده إلى بغداد، بعد أن أكد لـه طغرل بك حرصه على هذه الزيارة وأنه سيلبيها بعد فراغه من غزو الأقاليم الغربية والجنوبية من بلاد فارس وقد فرغ السلاجقة من بسط سيطرتهم على الأقاليم الشرقية منها[3]، وبعد ذلك أخذ طغرل بك ببسط سيطرته على الأقاليم الغربية من بلاد فارس، فتمكن من ذلك دون عناء كبير بسبب ضعف أمراء الديلم هناك، فخضعت لـه قزوين وأبهر وزنجان وهمدان وأذربيجان [4]، ودان لـه حكامه بالطاعة والولاء، بعدها أرسل جيشاً لفتح كرمان التي خضعت لـه في شهر محرم من عام 443هـ، وبخضوعها انتهت دولة الديالمة في تلك المنطقة[5]وكان طغرل بك قد حاول استغلال الوقت أثناء حصار جيشه لأصفهان، فأرسل جزءاً منه لفتح إقليم فارس وما جاورها فتمت لـه بذلك السيطرة التامة على المنطقة الجنوبية من بلاد فارس بأجمعها[6]، بعد ذلك توجه طغرل بك بجيشه لتفقد المناطق الشمالية الغربية من بلاد فارس وتوطيد سيطرة السلاجقة عليها، فسار في عام 446هـ إلى إقليم أذربيجان، ودخل عاصمته تبريز وشمل نفوذه جميع أجزاء أذربيجان، فضلاً عن بعض أجزاء من بلاد الروم آسيا الصغرى[7]، المتاخمة لأذربيجان، بعدها عاد إلى عاصمته الري عام 447هـ، وهكذا شمل نفوذ السلاجقة أكثر أجزاء بلاد فارس، فضلاً عن أجزاء من الدول المجاورة لها، وبهذا أصبح طغرل بك مستعداً لدخول عاصمة بغداد بناء على استدعاء الخليفة.

وبعد ذلك تمت سيطرتهم على معظم أنحاء العراق وقد أرسل طغرل بك أخاه من أمه إبراهيم ينال إلى همدان والأجزاء الغربية المجاورة لها من أجل تثبيت نفوذ السلاجقة فيها، فتوجه إليها عام 437هـ[8]، فرحل من كرمان إليها، وهناك حدثته نفسه بالتمرد واتخاذها قاعدة لـه مما أجبر طغرل بك على التوجه نحوه بنفسه وذلك عام 441هـ وما إن اقترب منها حتى أرسل إلى أخيه يطلب منه أن يسلم القلاع التي في يده إليه، غير أنه رفض ذلك فهاجمه طغرل بك وانتصر عليه ثم عفا عنه بعد أن استسلم لـه، ولم يعاقبه على تمرده هذا[9].

واستمر طغرل بك في تفقده للأقاليم التابعة لدولة السلاجقة غربي بلاد فارس من أجل إحكام

(1) دولـة آل سلجوق ص 11 - 67.
(2) راحة الصدور ص 105 الدولة السلجوقية ص 135.
(3) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 135.
(4) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 136.
(5) البداية والنهاية نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 136.
(6) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 136.
(7) الدولة السلجوقية منُذ قيامهاص 136.
(8) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 137.
(9) الدولة السلجوقية منُذ قيامها ص 137.

سيطرته عليها، كما استطاع أن يبسط نفوذه على ديار بكر بعد أن وافق حاكمها نصر الدولة بن مروان على ذكر اسمه في الخطبة، وإعلان طاعته وولائه للسلاجقة [1]، وفي عام 441هـ توجه طغر بك نحو أصبهان التي كان قد حاصرها عام 438هـ، فحاصرها وفيها حاكمها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة وضيق عليه كثيراً، لكنه لم يوفق في ذلك ولكن في النهاية تم الصلح بين الطرفين على مال يقدمه فرامرز ابن علاء الدولة لطغرل بك، فضلاً عن الخطبة لـه في أصبهان وأعمالها [2].

س- التوسع نحو الأناضول: في نسة 440هـ قام إبراهيم ينال بغزو الروم حيث ظفر بهم وغنم كثيراً وكان السبب في ذلك أن جموعاً كثيرة من الغز فيما وراء النهر قد جاءوا إليه يريدون الاستقرار في بلادهم، ولكنه رفض ذلك وحاول إفهامهم أن بلاده ومصادرها تعجز عن حاجتهم، ونصحهم بالتوجه إلى غزو الروم والجهاد في سبيل الله فضلاً عن حصولهم على الغنائم، كما أخبرهم أنه سيلحق بهم ويساعدهم فاستجابوا لـه وساروا أمامه فتبعهم[3]، فلما وصلوا إلى ملازكرد وارزن الروم قاليقلا وطرابزون لقيهم جيش كبير من الروم والإبخاز، تذكر المصادر أن عدده ثمان وخمسين ألفاً فدار بينهم قتال شديد تبادل فيه الفريقان النصر والهزيمة وكان النصر في النهاية للمسلمين قتلوا عدداً كبيراً من الروم وأسروا العديد منهم بينهم كثير من البطارقة، وكان من بين الأسرى قاريط ملك الأبخاز الذي فدا نفسه بثلاثمائة ألف دينار وبهدايا قُدر ثمنها بمائة ألف [4]، ولكن لم يقبل ذلك منه، ومع ذلك فقد استمر إبراهيم ينال يغزو تلك البلاد وينهبها ولم يبق بينه وبين القسطنطينية سوى خمسة عشر يوماً، وكان من نتيجة هذه الغارات والغزوات أن غنم المسلمون الكثير، وسبوا ما يزيد على مائة ألف رأس، فضلاً عما لا يحصى من البغال والدواب والأموال حتى قيل: إن الغنائم كانت قد حُملت على عشرة آلاف عجلة وأن من جملة الغنائم تسعة عشر ألف درع وكان لهذه الغزوة آثار كبيرة فقد ألحق السلطان طغرل بك بالروم خسائر كبيرة بما قام به من نهب وقتل وأسر وبعد ذلك توجه للري وأقام بها حتى حلول 447هـ وعاد بعدها إلى العراق[5].

* * *

(1) الكامل في التاريخ نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 137.
(2) المنتظم لابن الجوزي نقلاً عن الدولة السلجوقية ص 137.
(3) الدولة السلجوقية مُذ قيامها ص 139.
(4) الكامل في التاريخ نقلا عن الدولة السلجوقية ص 141.
(5) نهاية الأرب (287/26) الدولة السلجوقية ص141.